الرسالة

(٢ تيموثاوس ٤: ٥–٨)

يا ولدي تيموثاوس تيقَّظْ في كلِّ شيءٍ واحتَمِلِ المشقَّاتِ واعمَلْ عملَ المبشِّرِ وأَوفِ خدمَتَكَ* أمَّا أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ عليَّ ووقتُ انحلالي قدِ اقتربَ* وقد جاهدتُ الجِهادَ الحسن وأتممتُ شَوْطي وحفظْتُ الإيمان* وإنَّما يبقى محفوظاً لي إكليلُ العدلِ الذي يجزيني به في ذلك اليومِ الربُّ الديَّانُ العادل لا إيَّايَ فقط بل جميعَ الذينَ يُحبُّونَ ظهورَهُ أيضاً.

الإنجيل

(مرقس ١: ١–٨)

بَدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيح ابنِ الله. كما هو مكتوبٌ في الأنبياءِ: هاءنذا مُرسِلٌ ملاكي أمام وجهك يُهيِّءُ طريقَك قدَّامك* صوتُ صارخٍ في البرِّيَّة أعِدُّوا طريقَ الربّ واجعَلوا سُبلَه قويمةً* كان

حول الرسالة

تخصّص كنيستنا المقدّسة، في الأحد الذي يسبق عيد الظهور الإلهيّ (عيد الغطاس)، مقطعًا من رسالة الرسول بولس الثانية إلى تلميذه تيموثاوس (٢تي ٤: ٥–٨)، ذلك بسبب ذكر الرسول للظهور الإلهيّ في اليوم الأخير. هكذا، تدلّنا الكنيسة إلى الطريق الذي علينا سلوكه لتقبّل عيد الظهور الإلهيّ، على أنّه ليس مجرّد ذكرى لحدث إنجيليّ، بل مقدّمة للظهور الإلهيّ في اليوم الأخير، يوم الدينونة.

العدد ١/٢٠٢٠

الأحد ٥ كانون الثاني

الأحد قبل الظهور الإلهي

تذكار الشهيدين ثاوبمبتس وثاوناس

والبارة سنكليتيكي

اللحن الرابع

إنجيل السابع

تشكّل الرسالة الثانية إلى تيموثاوس رسالة الوداع التي أرسلها بولس الرسول إلى أحبّ التلاميذ إلى قلبه. لذلك، نلاحظ أنّها مليئة بالوصايا والملاحظات التي على تلميذه أن يعملها أو ينتبه إليها، حتّى يتابع مسيرة الرسول ويكون مستعدًّا، مثل بولس، للقاء الديّان العادل يوم الدينونة.

بعدما شرح الرسول بولس لتلميذه بالتفصيل ما عليه القيام به، وما يمكن أن يواجهه في عمله التبشيريّ، وكيف عليه التصرّف مع من سيواجهونه، يختصر كلّ ذلك في المقطع الذي يُتلى اليوم. يعطي الرسولُ تلميذَه أربع وصايا: «تيقظ في كلّ شيء، واحتمل المشقّات، واعملْ عمل المبشّر، وأوفِ خدمتك» (٤: ٥).

يشدّد الرسول بولس، من بين هذه الوصايا الأربع، على احتمال المشقّات. لقد أشار إلى ذلك عدّة مرّات في رسالته (١: ٨؛ ١: ١٢؛ ٢: ٣؛ ٢: ٨)، قاصدًا المشقّات التي يتحمّلها المبشّر من أجل إنجيل المسيح. الهدف من ذلك هو خلاص مَن سيقبلون البشارة بالمسيح المخلّص: «اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي، الذي فيه أحتمل المشقّات حتّى القيود كمذنب. لكنّ كلمة الله لا تُقيّد. لأجل ذلك أنا أصبر على كلّ شيء لأجل المختارين، لكي يحصلوا هم أيضًا على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجدٍ أبديّ» (٢: ٨–١٠). يضع الرسول نفسَه مثالًا واضحًا حتّى يتّبعه تلميذه، ويدعوه

إلى تحمّل الاضطهادات التي قد تحلّ به، عالمًا أنّه، كما أنقذ الربُّ الرسولَ، سينقذه هو أيضًا إن سلك الدرب نفسه: «وأمّا أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبّتي وصبري واضطهاداتي وآلامي، مثل ما أصابني في أنطاكية وإيقونية ولسترة، أيّة اضطهادات احتملت، ومن الجميع أنقذني الرب» (٣: ١٠-١١)، مستخلصًا أنّ الاضطهادات ترافق كلّ مَن يحاول العيش بحسب وصايا المسيح: «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون» (٣: ١٢).

القسم الثاني من رسالة اليوم، يُظهر الرسول بولس وكأنّه يقدّم تقريرًا حول خدمته الرسوليّة، ويظهر من خلال هذا التقرير أنّه أتمّ خدمته على أكمل وجهٍ، وقد قدّم نفسه تقدمة للربّ (عد ٢٨: ٦-١٠): «فإنّي الآن أُسكبُ سكيبًا، ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان» (٤: ٦-٧). بهذه الطريقة يوضح لتلميذه ما عليه عمله ليسير على خطى معلّمه. من هنا أتت وصيّته: «اعمل عمل المبشّر، تمّم خدمتك» (٤: ٥). الهدف الأخير هو الحصول على الجائزة من الربّ يسوع المسيح في اليوم الأخير، يوم الدينونة: «وأخيرًا قد وُضع لي إكليل البرّ الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربّ الديّان العادل» (٤: ٨).

للوهلة الأولى، يظنّ السامع أنّ الرسالة مقتصرة على مَن يقوم بخدمة المبشّر، وهذا طبيعيّ لأنّ الرسول يتوجّه إلى تلميذه، وهو مزمعٌ أن يسلّمه أمانة البشارة، قبل انتقاله من هذه الحياة. غير أنّه، وبعد هذه التوصيات، يؤكّد على أنّ الجائزة هي لكلّ مؤمنٍ يسعى إلى الحصول عليها عن طريق الجهاد الحسن وإكمال السعي وحفظ الإيمان (٤: ٧)، ويربط ذلك بظهور الربّ الديّان العادل: «وأخيرًا قد وُضع لي إكليل البرّ الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربّ الديّان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبّون ظهوره أيضًا» (٤: ٨). بهذه الطريقة، يعيدنا إلى بدء رسالته، حيث يشير إلى أنّ الله قد خلّصنا ودعانا بنعمته حتّى نشهد له، وقد ظهرت نعمته هذه بظهور الربّ يسوع المسيح الذي أبطل الموت بموته ومنحنا الحياة الأبديّة، وهو الذي سيجازينا في اليوم الأخير: «فلا تخجل بشهادة ربّنا ولا بي أنا أسيره، بل اشترك في احتمال المشقّات لأجل الإنجيل، بحسب قوّة الله الذي خلّصنا ودعانا دعوةً مقدّسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع، قبل الأزمنة الأخيرة، وإنّما أُظهرت الآن بظهور مخلّصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود (عدم الفساد) بواسطة الإنجيل... لهذا السبب أحتمل هذه الأمور أيضًا، لكنّني لست أخجل لأنّني عالمٌ بمن آمنتُ وموقنٌ أنّه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» (١: ٨-١٢).

لذلك، علينا ونحن نتهيّأ لاستقبال عيد الظهور الإلهيّ، أن نضع نصب أعيننا وصايا الرسول يوحنّا يعمّد في البّريّة ويكرز بمعمودية التوبةِ لغفران الخطايا* وكان يخرج إليهِ جميعُ أهلِ بلد اليهودية وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منهُ في نهرِ الأردنِّ معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يَلبَس وَبَرَ الإبلِ وعلى حَقَويْهِ مِنطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً برّيًّا* وكان يكرِزُ قائلاً: إنَّهُ يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي وأنا لا أستحقُّ أن أنحنيَ وأحُلَّ سَيْرَ حِذائه* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعمّدكم بالروح القدس.

تأمل

«إنّ كلّ من اصطبغ منّا بالمسيح يسوع اصطبغ في موته» رو ٦: ٣).

لقد أتى ملكوت الحياة ولا وجود لسلطان الموت من بعد، وثمّة ولادة جديدة وعيشة جديدة، ونهج حياةٍ جديد، لا بل ثمّة استحالة جوهريّة لطبيعتنا بالذات. هذه الولادة إنما تحدث «لا من دمٍ ولا من مشيئة رجل، ولا من مشيئة جسد، بل من الله» (يو ١: ١٣).

وكيف تحدث؟ سوف أعطيكم رسمًا توضيحيًا للنعمة بكلمات. بما أنّ هذه الولادة تُعقل بالإيمان، فهي تبرز نحو النور عبر الميلاد الثاني في المعمودية، والكنيسة ترضعها، من تعليمها الذي هو بمنزلة ثديين لأجلها، فيما يكون الخبز الذي من العلى غذاءها. أما السيرة النبيلة فتقابل ملء القامة، والزواجُ حياةٌ تعاش معًا بحكمة، والأولاد الرجاء، والعائلة الملكوت، والميراث والثروة مباهج الفردوس. أخيرًا، بدلاً من الموت، الحياةُ الأبدية في الغبطة المعَدَّة للقدّيسين.

إن الشيطان يحاصرنا بقساوة أشدّ مذ لبسنا كرامة الأبناء، لأنه ينفلق حسدًا عند رؤيته جمال الإنسان الجديد متقدّمًا نحو المدينة السماوية، التي منها طُرد. فهو يثير فيكم التجارب الفظيعة ويكدّ في تجريدكم من زينتكم الثانية، كما فعل في المرة الأولى. وعندما نلاحظ غاراته إذًا، علينا أن نكرر قول الرسول: «نحن جميع من اعتمدوا للمسيح، قد اعتمدنا لموته» (رو ٦: ٣). ثمّ إن بولس هذه ونعمل بها، فنظهر محبّين لظهور الربّ يسوع المسيح، حتّى متى وقفنا أمامه كديّان عادل، يوم الدينونة، ننال منه جائزة جهادنا وسعينا وإيماننا التي هي إكليل البرّ.

الظهور الإلهيّ

«باعتمادك يا ربّ في نهر الأردنّ، ظهرت السجدة للثالوث، لأنَّ صوت الآب تقدَّم لك بالشهادة مسمّيًا إيّاك ابنًا محبوبًا، والروح بهيئة حمامة يؤيّد حقيقة الكلمة. فيا من ظهرت وأنرت العالم، أيّها المسيح الإله المجد لك». تعيّد كنيستنا المقدَّسة منشدةً هذه الترنيمة لظهور الثالوث القدّوس علانيةً للمرَّة الأولى في التاريخ البشريّ، عندما أقبل الإله المتجسِّد ليعتمد من يوحنّا المعمدان في نهر الأردنّ.

نتعرّف على الثالوث القدّوس في عيد الظهور الإلهيّ: الآب الذي أحبَّنا وأرسل ابنه الوحيد ليخلّصنا: «لأنَّه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو٣: ١٦)؛ الابن الوحيد الذي تنازل من أجلنا وتجسَّد واتّخذ طبيعتنا البشريَّة ليرفعنا ويجعلنا معه أبناء لله بالتبنّي: «لمّا حان ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبنّي» (غل ٤: ٤–٥)؛ والروح القدس الذي يرافق مسيرة حياتنا الروحيّة ويملأنا نعمةً، ويقودنا إلى التوبة: «روح الحقّ الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنّه لا يراه ولا يعرفه وأمّا أنتم فتعرفونه لأنّه ماكث معكم ويكون فيكم» (يو ١٤: ١٧).

لقد هيّأ يوحنّا المعمدان الطريق نحو المعموديّة المسيحيّة، كارزًا «بمعموديّة التوبة لمغفرة الخطايا». يوحنّا كان ذاك الذي تمّت فيه نبوءةُ النبيّ إشعياء: «صوت صارخٍ في البّريّة: أعدّوا الطريقَ للرّبِّ واصنعوا سُبُلَ إلهنا قويمةً في البّريّة». كان يدعو الجميع إلى التوبة بقوله: «أعدّوا طريق الربّ، اصنعوا سُبُلَه مستقيمة» (لو ٣: ٤). كانت معموديّته إعلانًا للتوبة، ودعوةً لترك حياة الخطيئة. أمّا المعموديّة المسيحيّة فهي لغفران الخطايا، واكتساب نعمة البنوّة الإلهيّة. بمعموديّة الربّ انفتحت السموات أمامنا لندخل معه إلى عرشه الإلهيّ الأبديّ، وبها أيضًا سمعنا صوت الآب يشهد لابنه قائلًا: «أنت ابني الحبيب الذي به سررت» (مر ١: ١١)، كأنّه يشهد عن البشريّة كلّها التي صارت له «ابنًا» بتجسّد ابنه الوحيد.

يقول الإنجيليّ متّى إنّ «السماء انشقّت» للحال بعد معموديّة الربّ يسوع. إنّها المرّة الأولى التي يرد فيها هذا التعبير. كانت السماء قد أُغلقت في وجه الإنسان بعد سقوط آدم وحوّاء في الفردوس (تك ٣: ٢٤)، وها هي تُفتح ثانيةً بمجيء المسيح، الذي سيعيد للإنسان المجد الإلهيّ الذي خسره عندما رفض العيش في كنف الله ورعايته. كذلك، عند انشقاق

السماء، سُمع صوت الآب ونزل الروح القدس. أظهر الله سرّه الثالوثيّ للبشر بوضوح. منذ تلك اللّحظة، لم يعد يكتفي بدعوتهم إلى معرفته، إنّما سيمنحهم، بالمسيح، الخلاص المنشود، ويفتح الطريق لهم ثانيةً. ما عادت السماء بعيدةً، إذ صار الله بيننا.

تدعونا كنيستنا المقدّسة، من خلال هذا العيد المبارك، أن نسائل أنفسنا حول تفعيل نعمة المعموديّة على مستوانا الشخصيّ. يوم معموديّتنا هو يوم ميلادنا الحقيقيّ، كوننا نكتسب فيه البنوّة لله، ونلبس المسيح: «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم». بعد المعموديّة، يصبح المعتمد شبيهًا بالمسيح؛ تاليًا، عليه أن يحفظ هذه النعمة ويحافظ عليه، لا بل أن ينمّيها وينمو فيها حتّى يصل إلى «قياس قامة ملء المسيح». (أف ٤: ١٣). يدعونا هذا العيد، إلى مراجعة أنفسنا ومسلكنا. علينا المحافظة على نِعَم المعموديّة، وتنميتها فينا، لئلّا نخسرها. هذا العيد هو مناسبة للعودة إلى معنى المعموديّة، وشحذ الهمّة، لحفظها فينا، وعيشها بملئها. المعموديّة بداية عرس روحيّ، تصير به النفس عروسًا للمسيح، يزيّنها الجمال الإلهيّ، ويحبّها العريس حبًّا كاملًا لا حدّ له، هو الذي أعطى ذاته للموت من أجلها. يدخل الإنسان، بالمعموديّة، في حياة جديدة يتجنّد فيها للمسيح، ويتعهّد ألّا «يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي مَن جنَّدَه» (٢تي ٤:٢)، كما يتعهّد بأن يكمل السعي وينهي طريق استنارته وتألّهه وتجلّيه «على صورة خالقه» (كو ٣:١٠).

يقول القدّيس غريغوريوس بالاماس: «كما أنّ الطفل يأخذ من والديه إمكانيّة أن يصير رجلًا، ويرث الأملاك الوالديّة عند بلوغه السنّ المناسبة، لكنّه يخسرها إذا مات في أثناء ذلك، فإنّ المسيحيّ يحصل بالمعموديّة على القدرة لكي يصير ابنًا لله، ووارثًا للخيرات الأبديّة، إن لم يمت في أثناء حياته الموت العقليّ، الذي هو الخطيئة». الخطيئة تجعلنا نخسر النِعَم التي حصلنا عليها بالمعموديّة، فلنهرب من طريق الخطايا، ولنسلك «في جدّة الحياة»، حتّى نكون من وارثي الخيرات الأبديّة، بما أنّنا أصبحنا أبناء الله بالتبنّي، عندما تعمّدنا.

عيد الظهور الإلهي

في مناسبة عيد الظهور الإلهي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٦ كانون الثاني ٢٠٢٠ في كاتدرائية القديس جاورجيوس.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

كنّا أمواتًا فالخطيئة ميتة بالنسبة إلينا، إذ قد طُعنت بالرمح كما فعل فنحاس في حميّته بالفاسق (عد ٢٥: ٨). هيا اذهبي إذًا أيتها الشقية، فأنت إنما تريدين سلب ميتٍ كان قد استسلم لك قديمًا، والذي كانت شهواته الماضية قد أفقدته الصواب. الميت لا يميل قطّ إلى جسده، الميت لا تغريه الثروات، الميت لا يفتري، الميت لا يكذب، ولا يختلس ما ليس له، ولا يحتقر من يصادفهم. لقد غيّرت أسلوب حياتي، وتلقّنت ازدراء الدنيا، واحتقار الخيرات الأرضية، وتوخّي الخيرات العلوية، ولقد قالها بولس، إذ «صُلب العالم له وهو صُلب للعالم» (غل ٦: ١٤). هوذا خطاب النفس المتجدّدة حقًا، هوذا كيف يعبّر الإنسان الجديد الذاكرُ إعلانَ الإيمان الذي قدّمه لله عند قبول السر، حين وعد باحتقار كل مشقّة وكل لذّة حبًّا له.

القديس

غريغوريوس النيصصي